رواية

على ضفاف الأبدية

خالد المؤذن

إبهار
للنشر و التوزيع

"لم أكن أتخيل أن يصل بنا الأمر إلى ما هو عليه الآن، لم يخطر على بالي أن أقف أمام مفترق طرق ينتهي كل طريقٍ منها إلى سدٍّ منيع؛ اختياراتٌ أحلاها مرٌّ، وأمرها جحيم ليس كأي جحيم.. الأمانة، الخيانة، الصداقة، العداوة، القناعة، الطمع، الإخلاص، الغدر.
أهذه الكلمات حقًّا متضادة، أم إنها مجرد أوجه لعملاتٍ مزيَّفة تسمّى مشاعرنا، إذ أصبحت كالماء والهواء لا لون لها ولا طعم أو حتى رائحة؟!"

مقدمة

عند منتصف الليل، والسماء مكتسية بسوادٍ كسواد القط ضئيل الحجم القابع على منضدة أمام النافذة محدقًا عبرها، بوجه تلبّد حزنًا ولوعة يماثله تلبُّد تلك السماء بالغيوم، ثم التفت إلى الخلف لتقع عيناه على فراشٍ طبي؛ حيث استلقت فتاة شاحبة الوجه، غارقة في بحار غيبوبتها؛ ليشعر بغصة في حلقه وانقباض في قلبه، وكأن ثعابين تعتصره.

أعاد بصره كرةً إلى السماء، وتحديدًا إلى القمر المتوهج، والذي يكاد يتغطى جلّه بضيائه كستار مسرح يوشك على الانسدال بأسره.

لا يفصل بينه وبين اكتماله سوى يومين.

عندها سيتحدد مصير لا مناص منه.

تُرى...

ماذا لو أمسكنا بزمام الوقت، وأعدنا عجلة الزمن إلى الوراء؟

أكان بوسعنا تغيير القضاء؟

وماذا لو تعلقنا بتلابيب القدر ورجوناه أن يكفّ عن تقلباته.

أكان سينفعنا الرجاء؟

ما أقسى الحياة! ما إن تُدِر لها ظهرك إلا وتطعنك بخنجرٍ مسموم.

لم يكد يفيق من خسرانه لصديقه إلا ويجد صديقة صباه وقد تجاذب أطراف مصيرها كلٌّ من الموت والحياة.

حاول أن يتفاءل على الرغم من أن كل ما حوله يدعو إلى التشاؤم، وقد جالت عيناه أرجاء الحجرة الطبية بالمشفى حتى وقعتا على إطار صور بجوار كأسٍ مملوء نصفها ليدنو منها ويتأملها، وإذ بها صورة

تجمع ثلاثة أشخاص، شابان وفتاة، وقد اكتست وجوههم ابتسامة بريئة غير عالمين بما كانت تخبئ لهم الأيام ليعود بذاكرته إلى الوراء.

إلى حيث بدأت هذه المأساة.

"ها قد عدنا إلى حيث جرفتنا خطايانا نُعيد
صياغة مصير غير مكتوب"

الفصل الأول
"أوراق الخريف"

"من كان يتصور أن كل ما مرّ بي لم يتعدَّ الشهر الواحد؟ قد بدت لي وكأنها دهورًا تسابق بعضها في إذاقتي ألمًا ومعاناة، وقد أضفى جوّ الخريف كآبة اعتادت عليها النفس، وبعثت إشراقة وجه (برلنت) دفئًا تغار منه ألف شمس".

***

بينما تساقطت أوراق الخريف من أشجارها أمام إحدى المدارس إذ بريحٍ هادئة حملت بعضًا من تلك الأوراق، وعبرت بها من أمام فتاة ليتطاير شعرها الذهبي، إلا أنها وبتلقائية تعلقت يدها ببعض الخصلات منها في محاولة لإخفاء السماعة الطبية المثبتة بأذنها وبعينين ذهبيتي اللون كانتا تجوبان بحثًا عن شخص محدَّد، بوجهٍ قد اكتسى قلقًا وتوجسًا، وذلك الكابوس الذي يحتل منامها كل ليلةٍ ينذر بخطر جسيم، إن قلبها ينقبض رعبًا كلما عاودتها ذكرياتها، ولم يكن بمقدورها البحث عن تفسير له، لم تتحلَّ بالشجاعة الكافية لفعل ذلك.

ثم سمعت صوت فتاة وهي تقول متعجبة:

- (برلنت) أكنتِ هنا طيلة الوقت؟

التفتت إلى مصدر الصوت؛ فإذ بها صديقتها (علياء)، وقد ارتسم على وجهها الفضول لتستطرد قائلة:

- بحثت عنكِ أرجاء المدرسة لأجدكِ لدى البوابة، أمترقبة شخصًا ما؟

أجابتها بنبرة متوترة:

– في الحقيقة كنت أ...

قاطعتها (علياء) منزعجة:

– آمل ألا يكون سبب مكوثك هنا هو انتظارك لذلك النحس.

بدا الضيق يرتسم على وجه (برلنت) لتعاتبها قائلة:

– ألم أحذرك بعدم نعت (غروب) بهذا اللفظ؟

ردت محتجة:

– الكل متيقن أنه ما من مصيبة تحدث لكِ إلا ويكون موجودًا بجوارك.

وأردفت ونظرها معلق على ذلك الجهاز المثبت بأذنها:

– أنسيتي ما فعله في الماضي وأنه تسبب في...

قاطعتها بحدة وهي تخفي بيدها ذلك الجهاز:

– كفى.

كاد أن يجن جنون (علياء) وهي ترى صديقتها مغترة بذلك الفتى، ربما هي ساذجة بعض الشيء، لكن ليس إلى الدرجة التي تنخدع فيها بشابٍ أجمع أهل المدينة على مَقْته، بل وتعتبره صديق صباها، والأدهى من ذلك هو (ربيع) الشاب متوقد الذكاء والذي يفوق عقله عمره بمراحل ومع ذلك وقع ضحية خداع ذلك النحس، أيّ نوع من السحر يمارسه معهما؟ ثم سمعتا صوت شاب متسائلًا في كياسة:

– هل لي أن أنضم إلى هذه المحادثة الشيّقة؟

التفتتا إلى قائل العبارة؛ فإذ به شاب أشقر الشعر يبدو من ملامحه حدة الذكاء، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة واثقة؛ فتصيح (علياء) بمزيجٍ من البهجة والخجل، وبصوتٍ حاد بدا كصوت فأر داس عليه أحدهم:

- ر... (ربيع).

وقالت (برلنت) مرحبة بصدق:

- بالطبع فمثلك ليس في حاجة إلى الاستئذان.

ابتسم لهما مجاملة قبل أن يسأل موجهًا سؤاله إلى (برلنت) وهو -لسببٍ ما- يتحاشى النظر إلى عينيها:

- أرأيتِ (غروب) اليوم؟

عاد القلق يتغلغل داخل أعماقها لتجيب بنبرةٍ حزينة:

- لا زلت أترقب حضوره إلى هنا.

"يا للفتيات!، أكل هذا القلق لأنه لم يصل بعد؟"؛ قالها في نفسه متعجبًا عن سبب تغيرها، فمنذ أن عرفها ولم يعهدها بهذا القلق الذي اعتراها خلال الأيام الماضية.

ثم ألقى نظرة إلى ساعته قبل أن يقول لها:

- باق نصف ساعة على موعد الدرس الأول، أي أنه لم يتأخر بعد، فَلِمَ يكتسِ وجهك كلّ هذا القلق؟ أتودين أن تشيخي مبكرًا؟

أطلقت (علياء) ضحكة صفراء، في حين ابتسمت (برلنت) رغمًا عنها، كان كلامه منطقيًّا، إلا أنه لا يعلم بحقيقة ذلك الكابوس الذي يراودها كل ليلة.

هل تخبره عنه؟ لا، لن يضيف ذلك إلا شخصًا آخرًا قلقًا، فهي تعلم مكانة (غروب) بالنسبة له، إنه ليس صديقه الوحيد فحسب، بل هو أخوه الذي لم تنجبه أمه.

وتابع موضحًا:

- أنتِ تدركين أنه الآن إما عاكفًا على إطعام الطيور أو يزور قبر أمه أو...

ثم أردف بابتسامة واثقة وهو يحدق النظر خلفهما:

- أو وصل إلى المدرسة أخيرًا.

التفتتا إلى حيث استقر نظره؛ فإذ به (غروب)، بِقِصَر قامته، وشحوب وجهه، وشعره الغزير غير المهندم الذي يكاد يخفي عينيه فضيتي اللون المحاطتين بهالتين سوداوين تنمّان عن معاناة مع الأرق.

أشرق وجه (برلنت) لتقول بلهفة:

- لقد قلقنا عليك كثيرًا.

هرش رأسه بحرجٍ ثم لاحظ (ربيع) وهو يشير إليها قائلًا بمرح:

- لا تصدّقها، هي وحدها التي كانت تعاني من فوبيا القلقزيوم كعادتها.

احتجَّت متظاهرة بالغضب:

- هذا ليس عدلًا يا (ربيع).

ثم دنت من (غروب) والذي سعى إلى تجاهل فارق الطول بينهما حيث إنّ رأسه بالكاد تعلو كتفها وسمعها تسأله بفضول:

- أأنت بخير؟ هل أصابك أيّ مكروه؟

تعجب من سؤالها، وقد غدا مكررًا هذه الأيام الأخيرة، إلا إنه ابتسم لها ابتسامة هادئة تنمّ عن أنه بخير ليمسك (ربيع) بيده، ويقول مستأذنًا (برلنت):

- بما أنكِ تيقنتِ من كونه على ما يرام؛ فإني راغب أن أحادثه في أمرٍ مهم.

رمقه (غروب) بعدم فهم، ومِن ثَم سمع (برلنت) تقول له:

- لكن انتبه عليه جيدًا.

انزعج من قولها هذا. في حين أجابها (ربيع) بثقة وهو يشير بإبهامه إلى الأعلى:

- اطمئني لن يحدث له مكروه طالما أنا موجود.

وجذبه من ساعده وسار به مبتعدًا ليلتفت (غروب) إليها، ويلقي نظرة غاضبة فيما معناه:

"وهل أنا صبي ليعتني بي؟".

إلا أنها أجابته بابتسامة رقيقة؛ ليبتسم هو بدوره وبتلقائية، من العسير هزيمة هذه الفتاة.

إن المرء ليحتاج إلى كتيبة لدكّ حصونها المنيعة، لكن متى ستتوقف عن لعب دور أُمّه؟

تذكرت أمرًا ما لتهتف:

- لا تنسَ أن نلتقي حيث وعدتني.

"حيث وعدتها؟".

لا يذكر أنه وعدها بأي شيءٍ مؤخرًا، كل ما يذكره أنه لم يفِ بأيِّ وعدٍ قطعه لها طيلة سنوات صداقتهما، كاد أن يعود فيسألها، إلا أن (ربيع) استمر في جذبه وهو يقول له:

- فيما بعد يا صديقي، فلديّ أمور مهمة أود إخبارك بها.

تابعا سيرهما و(غروب) يتحاشى نظرات الكره والمقت المسلَّطة عليه مِن قِبَل بعض طلاب المدرسة.

وسارا حتى عثرا على مكانٍ شاغر بعيد عن إزعاج الطلاب.

ظل (ربيع) لفترة صامتًا لا يتحدث وسط عدم فهم من صديقه، ثم سأله وهو يصوّب نظره إلى إحدى المباني خارج المدرسة:

- أتعلم ما هو حلمي؟

صمت مفكرًا إلا أن (ربيع) بادره بإجابة سؤاله:

- حلمي أن أحقق ما وصل إليه ذلك الشخص.

أطلق (غروب) عنان بصره إلى حيث يحدق صديقه، ثم قال بمزيج من الاشمئزاز والدهشة:

- تود أن تغدو قطًّا؟

انتفض (ربيع) من موضعه، وكأن شخصًا ما ألقى على وجهه ماءً مثلجًا ليتساءل مستنكرًا:

- عما تتحدث على وجه التحديد؟

أشار بيده إلى لوحة إعلانية زرقاء اللون بها صورة قط وهو يقول موضحًا:

- ذلك القط الموجود في اللوحة المكتوب عليها "الطعام المفضَّل لدى القطط (ميا...

أدرك ما يعنيه ليأتي من خلفه ويخنقه مازحًا قبل أن يقاطعه ساخرًا:

- إنك بحاجة ماسَّة إلى فحص نظر، إنما عنيت اللوحة أعلى المبنى المجاور لها.

وأشار بيده إليها ليحدق بها ويلاحظ أنه إعلان لإحدى شركات القهوة الكبرى.

رجل بدين أصلع الرأس متأنق بصورةٍ مبالغ فيها؛ بحيث يبدو ساحرًا، لكنه لسوء حظه بدا كخرتيت يرتدي بذلة سهرة أنيقة وعلى وجهه نظرة متعالية وابتسامة شيطانية، ليقول (ربيع):

- هذا هو إمبراطور القهوة، قد بدأ من الصفر حتى امتلك المؤسسة التي عمل موظفًا بها، وإلى يومنا هذا لا أحد يعلم كيف فعلها، وهو يعد الآن من ضمن قائمة أثرياء العالم.

ثم سأله بفضول:

- أتود مستقبلًا أن تغدو ثريًا مثله؟ وتحاط بجيش من الموظفين وتملك أفخم المنازل وأفخر السيارات؟

أجابه بكل بساطة:

- لا.

بدا الانزعاج على (ربيع) ليقول متهكمًا:

- إن هذا ما يعيب السُّذّج من أمثالك أصحاب مقولة "المال لا يجلب السعادة"، تخيل معي أن تذهب إلى السوق وتبتاع أغراضًا وحينما يطالبك البائع بثمنها ماذا برأيك ستفعل حينها؟ هل ستخصم من رصيدك في بنك السعادة مثلًا؟

أجابه موضحًا:

- لم أنكر أهمية المال سوى أنني لا أراه إلا وسيلة وليس غاية.

ليرد (ربيع):

- ومن زعم أن المال غاية؟ إنما كلما زادت ثروتك زاد نفوذك، وسهل عليك تحقيق غايتك.

كان يثير غيظه أن يرى (غروب) بهذه السذاجة والسطحية، لاسيّما حين يتعلق الأمر بالمال، لكم من مرة أراد مصارحته بأنه ينوي تعيينه مديرًا للمؤسسات التي سيرثها من والده مستقبلًا.

هو واثق أن هنالك سرًّا يكمن خلف هذه الكراهية غير المبرّرة للمال، سيعرفه وسيجد له حلًا.

فهو يتميز بالعديد من الصفات المنقرضة في هذا العصر، والتي تؤهله ليغدو مديرًا ناجحًا لكن لا ينقصه سوى بعض الذكاء والحظّ الوافر من الطموح، وسيظل عاكفًا على إقناعه حتى ينجح، ثم تذكر أمرًا ليقول:

- بالمناسبة لم آتِ بك إلى هنا لهذا الحديث، وإنما الأمر يتعلق بمدرب فريق الجري.

أشاح (غروب) بوجهه، وبدا عليه الانزعاج ليردف صديقه:

– قد فاض به الكيل بسبب تغيبك المستمر عن التدريبات، خاصة وأنكم على مشارف المنافسة في بطولة المدارس.

لم يجبه ليقول ناصحًا:

– إن قام بفصلك من الفريق فلا مكان لك في هذه المدرسة؛ فأنت تدرك أن هذه الثانوية لا تقبل إلا الطلاب المتميزين أصحاب الدرجات العليا أو من أصحاب الطبقات الرفيعة؛ نظرًا للتكلفة الباهظة لكل فصل دراسي، وأنت يا صديقي لا تملك أيًّا من هاتين الميزتين، لذلك سعينا لإلحاقك ضمن المتميزين رياضيًّا، واجتهدت في التدريبات الرياضية، بل وعملنا سويًّا حتى حصلت على مركز متقدم كي يتسنى لك الحصول على موافقة من المدرسة لنغدو جميعنا زملاء أنا وأنت و(برلنت) أنسيت كم اجتهدنا ثلاثتنا كي ترافقنا هنا؟

ثم ربت على كتفه وهو يقول له:

– أتود أن ترتاد مدرسة أخرى لتعجز عن المكوث بجوارها؟

ألق نظرة إلى (برلنت) وهي منهمكة بالحديث مع إحدى الفتيات ثم سمع صديقه يسأله بخبث:

– بمناسبة الحديث عنها، متى ستصرح لها بمشاعرك؟

نظر إليه في بلاهة ولم يفهم ما يعني ليقول له موضحًا:

– متى ستعلن لها عن حبّك؟

شعر باشمئزاز من الفكرة ليجيب منزعجًا:

– الحمقى فقط هم من يقعون في الحب، وأنت تدرك جيدًا أننا لسنا سوى صديقين.

أطلق (ربيع) ضحكة ثم لكَمَه في بطنه لكمة خفيفة قبل أن يقول بمرح:

– قل هذا لغيري؛ لأن أقوالك تخالف أفعالك، فمن يراك كيف كنت تحميها من الحوادث السابقة وعدد الإصابات التي تعرض لها جسدك من جراء ذلك لقادر على تكذيبك بسهولة.

حقًّا، إن (برلنت) تعرضت لحوادث عديدة خلال الأشهر الماضية، وكأن هنالك مَن يفتعل مقالب لها أو ربما إصابتها، ترى أهي مصادفة؟ ثم قال بصدق:

– معنى ذلك أنني لو لم أحمل لها أيّ مشاعر ألا أحميها؟

أمعن (ربيع) النظر في وجهه نظرة فاحصة أجبرت صديقه على الارتباك قبل أن يقول:

– لعلك تصدقني القول، لكن هذا لا ينطبق عليها؛ فإن نظرة الحب التي تشعّ من عينيها لا يمكن إغفالها.

لا يدري لماذا ضاق صدره وشعر بغصة في حلقه ليتساءل بصوت متحشرج:

– هي تحب؟! تحب من؟!

ارتفع حاجبا (ربيع) حتى يخيل للناظر إليهما أنهما سيحلقان خارج رأسه، ومن ثم انقض عليه من خلفه وقام بخنقه بشدة، وهو يقول مغتاظًا:

– لا تدري؟ إنك يا (غروب) المادة الخام للغباء والحماقة، الذي يميّزك عن أيّ حمار يحترم ذاته هو الذيل فقط.

سعى إلى التملص منه وهو يضحك بمرح، ثم رن الهاتف الخلوي الخاص بـ(ربيع) فيدع صديقه ويخرج الهاتف من جيبه فإذا به والده ليبدو عليه التوتر فيقول لصديقه:

– امكث هنا ولا تتحرك، سأجري محادثة مع والدي، وأعود فورًا.

هزَّ له رأسه إيجابًا وتابعه بنظره وهو يبتعد، ومن ثم انتقلت عيناه إلى لوحة عملاقة تغطي طابقين من المبنى الرئيسي للمدرسة تخص مديرها (عزيز بدران) الشهير بـ(جنكيز خان) بقامته النحيلة ووجه أشبه بوجه سحلية، ويمكنك ملاحظة وقفته المتباهية ونظرته المتعالية والتي توحي إليك بأنه شخص مهم وهو كذلك إذا استثنينا فشله في جميع تجاربه في الحياة؛ فإن نجاحه الوحيد كونه ابن مالك المدرسة وهو ليس بالإنجاز السهل تحقيقه، لذلك لا تتعجب من اعتداده المبالغ فيه بنفسه.

انتبه إلى صديقة صباه وهي واقفة أسفل تلك اللوحة ولا أحد بجوارها وعادت إليه مخاوفه، ترى من يرغب بالإضرار بها؟ أم أنها مجرد مقالب؟ فلو استثنينا بعض الفتيات المصابات بالغيرة منها فلا يوجد شخص يحمل لها أيّ ضغينة.

أكانت تلك الحوادث متعمدة؟ أم أنه يبالغ في مخاوفه؟ أم أن كل ذ...

قطع حبل أفكاره صوت فتاة تتساءل بسخرية:

- أليس هذا هو القزم رفيق تلك الأميرة؟

التفت إلى صاحبة الصوت فإذ بها (ألحان) أو (أحلام) أو ربما... لا يهم، كل ما يذكره أنها تغيبت عن المدرسة الشهر المنصرم بداعي الاكتئاب بعد فشلها لأول مرة في تحقيق المركز الأول لدى إحدى مسابقات الجمال، بل إن والدها استعمل نفوذه لإجبار المدرسة على السماح لها بأداء الاختبارات الشهرية داخل منزلها، وهي سابقة كادت أن تسقط مدير المدرسة من منصبه بعد أن وصل الخبر إلى والده صاحب المدرسة.

ثم وجدها تطلق ضحكة ساخرة هي ورفيقتيها قبل أن تقول له بحدة وتعالٍ وهي تُبعد خصلات شعرها بُنّي اللون:

- ماذا بك؟ أيعجز الأقزام عن الحديث في حضرة (إلهام)؟

أجابها بلا مبالاة ودون أن ينظر إليها:

- ليس لدي ما أقوله لأمثالك.

كررت ما قاله مقلدة صوته:

- "ليس لدي ما أقوله لأمثالك".

ثم أردفت بحدة:

- أبلغ تلك الأميرة أن تكفّ عن إرسال رسائل غرامية لـ(ربيع) فإنه مِلْكي أنا، أفهمت؟ ملكي أنا.

لم يعِ حرفًا مما تفوهت به؛ وذلك لأن بصره كان مثبتًا صوب النافذة التي تعلو لوحة المدير حيث شاهد (نعيم) بلطجي المدرسة يقف هنالك يراقب، ما الذي ينوي فعله على وجه التحديد؟

هتفت متجهمة:

- هيه، أنا أكلمك هنا، أيضًا أبلغها أن تتوقف عن لفت الانتباه فإنها...

لم تستطع إتمام عبارتها بعد أن شاهدته وهو يسير مبتعدًا لتهتف بتعالٍ:

- من تحسب نفسك لترحل هكذا وتتجاهلني؟

بخطوات سريعة دلف المبنى الرئيسي للمدرسة، وصعد إلى الطابق الثالث؛ حيث تتواجد الحجرة التي تعلو اللوحة مباشرة وهي الحجرة الوحيدة بذلك الطابق، ولا يذكر أن شاهدها مفتوحة أبدًا من قبل، وقف أمام بابها ثم حرك مقبضه لينفتح، بدت الحجرة وكأنها مخزن، كانت خالية تمامًا من أي شخص كرأس (نعيم)... مبعثرة الأغراض

كشخصيته... مغبرة كأفكاره – هذا إن كان يفكر – لا عجب لو كانت هذه هي حجرته إذًا، يتخيله وهو يمرح داخلها كخنزير وجد بركة من الوحل، توجّه نحو النافذة وحاول فتحها، لكن بدا ذلك محالًا بعد أن تنبه إلى أن مقبضها مفقود، ترى مَن الذي خلعه؟ ولماذا؟ حاول دفعها بيده لكنها لم تستجب له، ثم سمع خلفه من يقول متسائلًا:

– من هناك؟

التفت بسرعة إلى مصدر الصوت ليجده (نعيم) واقفًا بجوار الباب ومعه ثلاثة من رفاقه ثم سمعه يقول بسخرية:

– ماذا؟ ليس سوى ذلك القزم صديق (ربيع).

قال أحد رفاقه:

– لعله تلقَّى اتصالًا من تلك الفتاة بدوره.

ودنا (نعيم) منه لينخفض (غروب) أرضًا ويجمع شيئًا ما، ثم قام واقفًا ليجد نفسه في مواجهة (نعيم) بجسده الضخم؛ ليمسكه الأخير من رقبته ويرفعه، وهو يقول له بوجه عابس غطاه النمش:

– أتصور أن صديقك ليس هنا ليحميك مني.

كان يمقته بحق، لم يمقت أحدًا مثله، هو من تسبب في قطع علاقته بـ(ربيع).

لسنوات وهو يُمنّي نفسه بتحطيمه إلا أنه عاجز تمامًا بسبب حماية (ربيع) له، لكنه هذه المرة...

قال بتعالٍ:

– من ذا الذي يمنعني الآن من سحقك كأيّ...

لم يستطع إتمام عبارته بعد أن ألقى (غروب) حفنة من الغبار على وجهه قد جمعها بيده ليدعه يسقط أرضًا وهو يسعل ويصرخ من الألم

بعد أن تغلغل منها إلى داخل عينيه وفمه وأنفه، ثم بصوت مختنق صاح في رفاقه:

- ماذا دهاكم يا حمقى؟ اسحقوه.

تحرك ثلاثة ثيران نحوه حتى أحاطوا به، وأخذ يتراجع حتى التصق ظهره بالحائط، ثم قام بلكم أحدهم في بطنه بكل ما أوتي من قوة، لكنه شعر وكأنه يضرب جدارًا ليدفعه الفتى أرضًا فيسقط وطفقوا يركلونه بأقدامهم مرارًا حتى توقفوا بعد أن سمعوا صوتًا خلفهم يقول بسخرية:

- ما خطبك يا (جحيم)؟ ألم تُعلمك أمك بعدم خوض أيّ عراك غير متكافئ؟

التفتوا الي حيث مصدر الصوت فإذا به (ربيع) واقفًا متكئًا على الباب ليقول (نعيم) وهو عاكف على مسح الغبار من عينيه وشعره القصير أحمر اللون:

- (ربيع)؟ منذ متى وأنت هنا؟

ثم تذكر أمرًا ليقول:

- لا علاقة لك بأمي.

سمع صوت ضحكات مكتومة من رفاقه لينهرهم:

- اخرسوا.

ثم جذبه (ربيع) من رقبته وهو يقول محذرًا:

- أطلق خنازيرك عن صديقي، وإلا سأحطم أنفك كما حطمته العام المنصرم.

قال بحنق:

- ستندم على هذا، فإن صديقك القزم لن يجلب لك سوى المصائب.

ضغط على رقبته بشدة قبل أن يقول وهو يجز على أسنانه:

- لا أحبذ أن أكرر أقوالي لذلك نفذ ما أمرتك به.

صرخ من فرط الألم ليشير بيده إلى رفاقه فيتركوا (غروب) وشأنه ويخرجوا من الحجرة، ومن ثم قال (ربيع) محذرًا:

- إن مسسته مجددًا فسأحطّم يديك.

ثم أفلته ليركض مبتعدًا وتبعه رفاقه وهو يعلم أن (ربيع) لا يمزح خاصة وأنه حاصل على الحزام الأسود في رياضة الكاراتيه، وما أن رحلوا حتى قال ساخرًا:

- يا لحماسة الشباب.

نهض (غروب) وشرع ينفض الغبار عن ملابسه قبل أن يقول:

- لكنك أيضًا شابّ.

قال ضاحكًا:

- أضحيت أردد ما يقوله أبي هذه الأيام.

ابتسم له (غروب) وإن شعر بضيقٍ تغلغل داخل صدره، إذ لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتدخل فيها لإنقاذه من المتنمرين، إلى متى سيظل يعتمد على صديقه؟ وإلى متى سيسبب له المتاعب؟

قال (ربيع) معاتبًا:

- ألم أحذرك من عدم ترك مكانك؟

أجابه مدافعًا:

- ولكنني لاحظت...

قاطعه بذات نبرة العتاب:

- الكل هنا يمقتك عداي أنا و(برلنت)، ويتحيّنون أي فرصة لانتزاع رقبتك بأسنانهم، تخيّل معي لو لم أنتبه لوجودك هنا ماذا كان سيحل بك؟

أطرق برأسه أرضًا ولم يجد ما يقول ليسمع صديقه يقول له موضحًا:

- إن هذا المدعو (نعيم) مشروع بلطجي، لا يغرنك كون والده ثريًا، فالكل يعلم بجرائمه المالية من سرقات وغسيل أموال وغيرها نتجت إلى ثرائه الفاحش، وابنه هذا لا يختلف عنه في الإجرام.

توجه نحو النافذة وألقى نظرة إلى الأسفل، ثم سأل بفضول:

- ما الذي لفت انتباهك هنا؟

أجابه بتلقائية:

- رأيت (نعيم) يقف موضعك هذا ويحدق عبر النافذة باهتمام فانتابني الفضول.

رد بضيق:

- فكرة سيئة يا صديقي، وكادت أن تسبّب لك الضرر.

احتج قائلًا:

- لكن ماذا عن تلك الحوادث التي تعرضت لها (برلنت)؟ لديَّ شعور بأنها متعمدة.

أجابه موضحًا وكأنه يشرح لصبي:

- أنت قلتها بنفسك للتو، إنها مجرد "حوادث" وقد يتعرض لها أي شخص، وكلانا يعلم مكانة (برلنت) لدى الكل من حولها.

ثم تم الإشعار لبدء الدرس الأول، ولاحظ الطلاب والطالبات وهم يتوجهون نحو فصولهم المدرسية ليردف متهكمًا:

- لعل عدوى القلق قد انتقلت إليك منها.

كاد أن يحتج لولا أن سمع (ربيع) يهتف وعيناه مثبتتان إلى الأسفل:

- إن لوحة المدير تهتز بصورة غير منطقية.

ثم هتف بهلع:

- اللوحة تسقط.

التفت إلى الخلف ولم يجد أثرًا لصديقه، والذي كان يهوي عبر درجات المدرسة.

وما أن وصل إلى الطابق الأرضي حتى وجد (برلنت) في موضعها أسفل اللوحة والتي كانت تهتز بصورة غير اعتيادية كأن هنالك يد خفية تحركها ليهتف موجهًا كلامه لصديقته في ذات الوقت الذي كان يركض تجاهها:

- ابتعدي عن هذا الموضع فورًا.

حدقت النظر إليه في عدم فهم قبل أن تنتبه إلى أصوات المحيطين بها يصيحون في رعب لتنظر إلى الأعلى وتجد اللوحة تهوي عليها وشعرت بجسدها قد شُلَّ من هول المنظر، لكنها ودون أن تعي شعرت بجسد أمسك بها ليندفعا معًا ويرتطما بالجدار، ثم سمعته يتأوه بقوة تزامنًا مع سقوط اللوحة على الأرض لتطلق (برلنت) شهقة رعب وهي تجده ملقى على الأرض ثم بدأت اللوحة تميل ناحيتهما ليرتطم إطارها الأعلى بإحدى نوافذ الطابق الثاني فيحطمها ويتساقط عليهما زجاجها لتحميه بجسدها فيسقط عليها الزجاج المتناثر دون أن يسبب لها أضرار لحُسْن حظها، لتسمع صديقها يقول لها معاتبًا وهو يكبح ألمه:

- ما كان لك أن تعرّضي نفسك للخطر هكذا.

ردت بعصبية ساخرة:

- انظر من يتحدث!

لم تتمكن من تبيّن جرح كتفه جيدًا لتواجدهما خلف اللوحة والتي بدورها حجبت عنهما ضوء الشمس لتقول بنبرةٍ قلقة:

– لا بد من عرضك على طبيب العيادة؛ فإن وضع كتفك لا يبعث الطمأنينة في القلب.

رد منزعجًا:

– لا داعي لأن نملأ الأرض صراخًا وعويلًا من أجل خدش يسير.

سألته محتجة:

– "خدش يسير"؟

ثم قربت وجهها من كتفه الأيمن الذي احتكت به اللوحة لتطلق شهقة بعد أن انتبهت لوجود نزيف لتخرج مقصًا من حقيبتها وتقص جزءًا من قميصه، وتشرع في إيقاف النزيف ليتأوه (غروب) وهو يقول لها محذرًا:

– ما الذي تفعلينه؟ إنك تتعاملين مع الجرح باستهتار.

أجابته ساخرة:

– ماذا؟ ألم يكن "خدشًا يسيرًا" منذ لحظات؟

ارتبك قبل أن يجيبها موضحًا:

– بلى، لكنه نوع خاص من الخدوش التي تحتاج إلى عناية فائقة في التعامل معها.

قالت بخيبة أمل:

– بالله عليك أي عقل يمكن أن يستوعب ما قلته للتو؟

ثم أردفت مطمئنة:

– لا تنسَ أن عمتي طبيبة، وأشرفت على تعليمي كيفية القيام بالإسعافات الأولية منذ الصغر.

ما أن أنهت عبارتها حتى تذكرت أمرًا ليضيق صدرها حزنًا، ولاحظت الأسى بادِيًا على وجه (غروب) فقد بدا وكأنه تذكر تلك اللحظة الأليمة ثم سمعا صوت (ربيع) وهو يقول متهكمًا:

- كنا قلقين عليكما في الخارج، ولم نتصور أنكما اتخذتما لنفسيكما مسكنًا خلف اللوحة.

التفتت إليه وخلفه جمع من الطلاب ليحمر وجهها خجلًا، ومن ثم تسأله:

- منذ متى وأنتم هنا؟

تظاهر بالتفكير قبل أن يقول متهكمًا:

- منذ "الخدش اليسير" حسب ما أذكر.

تذكرت إصابة (غروب) لتقول بهلع:

- (ربيع) لا بد من أخذه إلى الطبيب؛ فإن جرحه لا يطمئن.

تلاشت ابتسامته، ثم توجه نحو (غروب) وعاونه على النهوض، ومن ثم خرجا من خلف اللوحة وخلفهما (برلنت)، وقد احتشد التلاميذ ينتابهم الفضول والبعض في عينيه بدت نظرة تشفٍّ وهم يرون (غروب) مصابًا متمنين أن تكون هذه الإصابة خطيرة.

ومن بينهم سمعوا صوت فتاة تهتف بانتصار:

- سبق لي إخباركم أن هذه الأميرة وفارسها القزم يتسولان لفت الأنظار فحسب.

***

الفصل الثاني
"لعنة لا مفر منها"

"لكم مِن مرة تساءلت في قرارة نفسي: أنحن مخيّرون أم مسيّرون؟ أنحن مَن نقرّر مصائرنا؟ أكان سينتهي بنا المطاف إلى أيّة نتيجة وفقًا لما استقرت عليه اختياراتنا؟ أم أن هذه الخيارات لا تعدو كونها تحصيل حاصل، وأننا لسنا سوى ركاب سفينة نقرّر أفعالنا داخلها ولا يد لنا في تقرير وجهتها".

***

- أمرٌ لا يعقل.

قالها (عزيز بدران) مدير المدرسة وهو يسير بقامته النحيلة أمام جمع من الطلاب والمدرسين المتجمهرين حتى وصل إلى اللوحة الضخمة المتضررة ليردف بحسرة وبصوتٍ باكٍ:

- لوحتي الغالية، لقد كلفتني ثروة.

ظهر من بين الجموع صوت خافت يقول:

- حقًّا، من تبرعات أولياء أمور الطلاب.

صاح مستنكرًا:

- سمعتك يا هذا، اظهر لو كنت شجاعًا.

وجالت عيناه الجميع حتى استقرتا عند (غروب) -والذي كان متكئًا على صديقته- ليهتف بمزيجٍ من الغيظ والحقد:

- أنت.

ثم دنا منه وهو يردف:

- ما من مصيبة تحدث داخل المدرسة أو خارجها إلا ولك يدٌ فيها.

احتجت (برلنت):

- لكنه كان موجود في فناء المدرسة حينما سقطت اللوحة، مما يعني أنه لم يتسبب في إسقاطها.

ثم تابعت وهي تشير إلى كتفه:

- كما أنه مصاب وفي حاجة إلى زيارة الطبيب.

صاح متجهمًا:

- سبق لي إخباركم ألا يتحدث أحد دون إذن مني، كما أنني حذرت من ألا يتحرك أحد حتى أكشف عن الفاعل، ولو اضطررت إلى تفتيشكم جميعًا.

لاحظ (غروب) أن (وديان) أو ربما (كروان) أو... لا يهم، قد أخرجت شيئًا ما من حقيبتها وألقت به بعيدًا ظانة أن أحدًا لم يلاحظها، ثم سمع الجميع صوت شابٍ وهو يقول بكياسة:

- الحبلٌ بالٍ.

التفت المدير إلى صاحب الصوت ثم صاح متجهمًا وقد تطاير من عينيه الشرر:

- ألن تتوقفوا عن عصيان أوا...

ثم انتبه إلى أن المتحدث لم يكن سوى (ربيع) لتتبدل شخصيته من الغطرسة والغضب إلى التملق والنفاق وهو يقول بابتسامة ودودة:

- سيد (ربيع) لم أنتبه إلى وجودك هنا.

حدجه الشاب بنظرة غاضبة ليصحح خطأه ويقول بصرامة:

- أعني ما الذي ترمي إليه يا (ربيع)؟

أجابه وهو يمسك بالحبل الذي تعلقت بواسطته اللوحة:

– إن الحبل قديم، ويمكننا ملاحظة تمزقه بما لا يدع مجالًا للشك بعدم وجود جانٍ.

أمعن النظر في الحبل قبل أن يقول مستنكرًا:

– لا يمكن، أنا واثق من شراء إطار اللوحة وملحقاتها بنفسي، فكيف يمكن أن يبلى الحبل بهذه السرعة؟!

سأله (ربيع):

– وهل أشرفت على تعليقها بنفسك؟

أجابه مستنكرًا:

– لا، بل قام بذلك عمالٌ مختصون.

قال (ربيع) ببساطة:

– إذًا فهم من استبدلوا الحبل الجديد بآخر قديم.

فكر في الأمر قبل أن يحتج متسائلًا:

– ولكن لماذا؟ ما الفائدة المرجوة من هذا التصرف؟

هز كتفيه وهو يقول:

– يمكنك أن تسألهم بنفسك فلا أملك تفسيرًا لذلك.

أطرق رأسه مفكرًا محاولًا الاقتناع بمنطقه قبل أن يسمعه يقول له مقترحًا:

– أنصحك بالكف عن هذا التحقيق؛ كي لا يصل الأمر إلى الشرطة، لينتهي المطاف إلى تحميلك مسؤولية سقوط اللوحة، ولا أخالك ستطرب لأمر كهذا.

شحب وجه المدير وعجز عن النطق ليقول (ربيع) له مقترحًا:

– بما أننا علمنا سبب سقوط اللوحة، أرى ألا داعي لهذا التحقيق.

التفت المدير إلى حيث يقف الجمع من الطلاب والمدرسين ليصيح بهم آمرًا:

- حسنًا، ليذهب كل شخص إلى فصله، فقد علمنا سبب سقوط اللوحة.

ابتسم (ربيع) ثم نظر إلى صديقيه وغمز لهما بعينه ليتبسم له (غروب) بإنهاك في حين شكرته (برلنت) بنظرة امتنان وهي تحرك شفتيها دون أن تنطق، ثم سارت وصديقها متكئ عليها متجهين إلى عيادة المدرسة، تابعهما بنظره حتى دلفا إلى العيادة، ومن ثم التفت نحو المدير وقال له متجهمًا:

- أتصور أنى أبلغتك لأكثر مرة من قبل ألا تناديني بلقب (سيد)، لا يجب على أيّ أحد بالمدرسة أن يعلم بمستواي الاجتماعي، وإلا سأنال معاملة خاصة، هذه أوامر والدي وعلينا تنفيذها.

أجابه المدير بحرج:

- بالطبع يا سيد (ربيع)... أعني...

ضرب (ربيع) كفه على رأسه من شدة الإحباط، ثم سار مبتعدًا عنه حتى انتبه إلى شيءٍ معدني ملقى على الأرض لينحني ويلتقطه، ومن ثم يدسه في جيبه.

***

أمام عيادة المدرسة حيث وقفت (برلنت) بجوار الباب منتظرة صديقها حتى ينتهي من مراجعة الطبيب وعيناها مستقرتان على اللوحة المعلقة على الباب.

"الطبيب/ سرمدي.

أخصائي الأعطال الجسدية.

مع توفر قطع غيار لجميع الأعضاء البشرية بأسعار منافسة".

وإلى يومها هذا لا تدري إن كانت هذه مزحة أم أنه جادّ فيما يدّعيه، ولكم من مرة رغبت في سؤاله حول هذه اللوحة، لكنَّ شعورًا مرعبًا بداخلها ينصحها بعدم الإقدام على ذلك، ثم من هو ذلك الطبيب الذي يكتفي بكتابة اسمه دون ذكر اسم عائلته؟ والأدهى من ذلك كيف سمحت المدرسة له بالعمل لديها؟ وداخل العيادة صاح الطبيب بمرح:

- رائع يا فتى، ينقصك زيارة أخرى وتنضم إلى نادي الأعضاء الدائمين لعيادتي.

كان في العقد الرابع من العمر يرتدي عوينات ذات عدسات ضخمة بالكاد ترى عينيه داخلها، وذقنه غير الحليقة، وشعره المتناثر، وكأن كل خصلة متشاكسة مع الأخرى، كان أشبه بشخصٍ نزلت عليه صاعقة من السماء، وأردف قائلًا وهو يرمق صورة الأشعة دون أن يلاحظ أنها على وضع مقلوب:

- إن حالة كتفك ليست بالجيدة، ولحسن حظك أن اللوحة لم تسحقها.

قال (غروب) المستلقي على فراش العيادة بحرج وهو يهرش رأسه:

- آسف؟

بدت الحيرة على الطبيب (سرمدي)، ومن ثم قال:

- أولًا: لست أنا من يتوجب عليك الاعتذار له. ثانيًا: فقط امنح تهورك إجازة ولو ليوم واحد.

قال له (غروب) محذرًا:

- لكن إياك أن تخبر...

قاطعه الطبيب مشوحًا بيده مما يدل على مله من سماع ما سيقال:

- نعم، نعم، ألا أخبر تلك الفتاة بخطورة إصابتك، اطمئن يا فتى.

ثم تناول علبة تبغ وأخرج منها لفافة وأشعلها قبل أن يقول له (غروب) بانزعاج:

- عدت للتدخين مجددًا.

أجابه بلا مبالاة:

- عادة سيئة يا فتى، عادة سيئة.

كان من العجيب عليه أن يتخيل فكرة طبيب يهمل صحته، تمامًا كنجار بابه مخلع، ثم سمعه يقول بجدية:

- نصيحتان خذهما مني.

وأخذ نفسًا من التبغ قبل أن يردف:

- لا تدخن أبدًا، ولا تسمح لأهلك يجبرونك على تخصص علمي تمقته.

ثم نفث من فمه سحابة دخان ضخمة تزامن ذلك مع إشراق (برلنت) داخل العيادة لتغرق في تلك السحابة وتسعل، وهي تلوح بيدها في محاولة لإبعاد كومة الدخان تلك قبل أن تقول بتأفف:

- أهذه العيادة خصصت لعلاج المرضى أم لقتلهم؟

قال الشاب بمرح وهو يفرد ذراعيه مرحبًا:

- مرحى (برلنت) وكنت أتساءل عن النور الذي أضاء عيادتي المتواضعة.

ثم مال نحو (غروب) وهمس له:

- نصيحة ثالثة: ابتعد عن الفتيات فلن تنال منهن إلا المتاعب.

رمقه بعدم فهم قبل أن تسأله (برلنت) بلهفة:

- ما أخبار كتفك؟ أهي سليمة؟

كاد أن يجيبها لولا أن بادر (سرمدي) قائلًا بمرح:

- إنها سليمة طبعًا، إن هذا الفتى أقوى مما يبدو.

ثم قام بلكم كتفه المصابة لكمة قوية آلمته بشدة، وبالكاد تمكن من التظاهر بأنه على ما يرام ليسمع الطبيب يقول بذات المرح:

- أرأيتِ؟ إنه متعافٍ تمامًا.

هزَّ لها (غروب) رأسه مشجعًا لها أن تكفّ عن قلقها لتمعن النظر عليه وعلى كتفه المصابة، وذلك التضميد الذي بدا بدائيًّا جدًّا، ثم قالت بشك:

- أنتما لا تخفيان عني أمرًا.

شحب وجهاهما قبل أن يقول الطبيب في محاولة لإخفاء ارتباكه:

- بالطبع لا، ولِمَ نخفي عليك أمر خطورة إصابته؟

أعادت إمعان النظر إلى كتف صديقها، إلا أنها في النهاية تنهدت باستسلام لتقول:

- فليكن.

تنفسا الصعداء قبل أن تردف محذرة وهي تشير إليهما بإصبعها:

- لكنني لن أسامحكما إن حدثت أيّ مضاعفات.

شحب وجهاهما مجددًا وهما يتخيلان مصيرهما إن علمت بخطورة الإصابة، ومن ثم نهض (غروب) من الفراش ولم ينسَ أن يشكر الطبيب ويسير بجانب صديقته متوجهين إلى باب العيادة.

وخارج العيادة كاد (ربيع) أن يصطدم بهما ليسألهما باهتمام:

- ما حال الإصابة؟

أجابه (غروب) وهو يتحامل على ألمه وقد حدج صديقته بنظرة غاضبة:

- اتضح أنها بسيطة ولا تستحق كل هذه الضجة.

ردت (برلنت) بتهكم:

- تمامًا فهو "خدش من نوعٍ خاص".

صاح بغضب:

- إلى متى ستعاملينني وكأنني صبي؟

لتهتف بذات الغضب:

- إلى أن تتوقف عن التصرف مثلهم.

ثم قالت بصوت باكٍ وقد عاودتها ذكرى ذلك الكابوس:

- إنك تعذبني هكذا.

وغرقت في بحار دموعها، ليشعر بإحراج شديد، وقد بدا وكأنه وغد حقيقي، لو حصل على فلس لكل مرة سالت دموعها بسببه لغدا من أثرياء عصره، ولم ينقذه إلا (ربيع) الذي قال بمرح:

- أعلم أن هذه المحادثة شيقة، وكنت أود الاستمتاع بها أكثر، لكن ألا تريان معي أن الأفضل لنا العودة إلى منازلنا؟

نظرا إليه متعجبين قبل أن يردف وهو يشير إلى كتف (غروب):

- أتصور أنك بحاجة إلى راحة بعد هذه المغامرة المثيرة.

ثم غمز لهما بعينه وتقدمهما في السير لتلتقي أعينهما غير مصدقين، مضى زمن طويل منذ أن رافقهما لدى طريق العودة، منذ تلك الحادثة وهو زاهد عن العودة برفقتهما وأسعدتهما رغبته تلك لذلك أسرعا بالسير خلفه، وعند حارس المدرسة؛ حيث أنقده (ربيع) بعض النقود ليفتح الباب لهم خلسة دون أن يلاحظ أحد ثم توجهوا جميعهم إلى الخارج.

ولدى طريق عودتهم كان الجو متوترًا.

سحابة من الصمت أظلتهم.

(برلنت) بدت منزعجة حزينة.

(غروب) يشعر بالحرج.

(ربيع) يفكر.

ثم مال إلى صديقه وهمس له:

- اعتذر لها.

همس (غروب) بكبرياء:

- أنا أعتذر؟ ولفتاة؟

بغيظ وهو يجز على أسنانه قال:

- أليست صديقتك؟ أتود أن تمضي بقية يومها مبتئسة بسببك؟

انعقد لسانه فلم يجد ما يرد به ليسارع الخطى كي يدنو منها ويسير بمحاذاتها، ثم شعر بفراغ داخل رأسه، لا يجد ما يقوله لها.

وبعد برهة قصيرة من التفكير قال لها بحرج:

- الجو جميل أليس كذلك؟

سعدت باكتراثه بأمرها، وإن تظاهرت باللامبالاة لتجيبه بفتور:

- بلى.

- .....

- .....

غمرتهما سحابة من الصمت للحظات عدة قبل أن يبددها قائلًا:

- السماء صافية.

حدقت النظر إلى الأعلى ثم ردت ببرود:

- فعلًا، لو تغاضينا عن الغيوم التي تحجبها.

- .....

- .....

مجددًا ساد الصمت بينهما قبل أن يسألها بفضول:

- أأنتِ بخير؟

أجابته ببرود:

- سأعيش... ربما.

رد بارتياح:

- هذا جيد.

ثم غرقا في بحر من الصمت لا قاع له قبل أن يشعر وكأن نارًا تثقب رأسه ليلتفت إلى الخلف حيث (ربيع) يسير خلفهما ويحدجه بنظرةٍ نارية غاضبة تكاد تخرق الصخر.

ماذا به؟ لقد اعتذر لها، أم يتوجب عليه أن يضحي بكبشٍ عظيم كي تقبل اعتذاره؟ إن (ربيع) يصبح غامضًا في بعض الأحيان، وإنه لأمرٌ مقلق.

وبمجرد أن اقتربوا من منزل (برلنت) حتى قال (ربيع) موجهًا كلامه إليها:

- ها قد وصلنا.

تساءلت بدهشة:

- ألن أرافقكما حتى منزل (غروب)؟

أجابها وهو يربت على ظهر صديقه:

- لدينا ما نتناقش به، أمور تخص الشباب فقط.

أمعنت النظر فيهما قليلًا ولاحظت (ربيع) وهو كالعادة يتحاشى النظر إلى عينيها قبل أن تقول:

- إذًا سأعود إلى المدرسة طالما لم تنته الحصص المدرسية بعد.

قال ساخرًا:

- أنت لا تكفّين عن الدراسة أبدًا.

أجابته مبتسمة:

- لو أنني أمتلك عقلًا كعقلك لأهملت الكتب المدرسية، وشرعت في مطالعة الكتب الجامعية تمامًا مثلك.

ابتسم بفخر لقولها وأخذ يتابعها بنظره وهي تقدم على العودة قبل أن تتوقف فجأة وتغمغم بنبرةٍ حزينة موجهة كلامها إلى (غروب) دون أن تلتفت إليه:

- اعتنِ بنفسك من أجلي أرجوك.

أجابها بثقة:

- لا تقلقي.

ثم تابعت سيرها وهي تدرك جيدًا أنه لا يعني ما يقول، وما أن غابت عن ناظريهما حتى مر (ربيع) بجوار صديقه ليتابع سيره صوب منزله وهو يقول حانقًا:

- أعجبتني نشرة الأحوال الجوية التي أذعتها أمامها.. صراحة، أروع اعتذار أقدم عليه شخص على مر العصور.

سار (غروب) بمحاذاته معتادًا بذاته، لم يكن يدرك أنه يجيد الاعتذار، ليسأله (ربيع):

- أتعلم لماذا رافقتك إلى المنزل؟

أجابه بذكاء:

- لكي تطمئن عليّ.

أطلق ضحكة قصيرة ثم قال متهكمًا:

- طالما أن ذلك الطبيب المخبول زعم أنك بخير فَلِمَ القلق؟

توقف (ربيع) عن السير قبل أن يردف بجدية:

- رافقتك لأؤكد لك حقيقة سبق أن أخبرتني بها ولم أصدقك.

نظر إليه في تساؤل ليجيب وقد اتسعت عيناه:

- هنالك من يسعى لقتل (برلنت).

***

- لكن كيف تيقنت من ذلك؟

قالها (غروب) متسائلًا ليجيبه صديقه:

- قبل أن تسقط اللوحة بدا لي وكأن هنالك من حركها كي تسقط.

غمغم متسائلًا:

- لكن ماذا لو أن الرياح حركتها؟

انزعج (ربيع) من سؤاله ليسأله متجهمًا:

- هل شعرت بأي رياحٍ قوية ساعتها؟

أومأ برأسه نفيًا ليتابع قائلًا:

- إذًا فمن حركها هو شخص، ومن المؤكد أنه حرّكها كي يُسقطها، وليس من أجل اللهو.

ثم أخرج من جيبه شيئًا معدنيًّا وسأله:

- أتدري ما هذا؟

دقق (غروب) النظر فيه قبل أن يجيب:

- يبدو لي كمقبض باب أو شيء من هذا القبيل.

ثم تذكر أمرًا ليقول متسائلًا:

- أهذا هو مقبض النافذة المتواجدة في الطابق الثالث؟

هز (ربيع) رأسه بثقة وهو يقول:

- بالضبط.

ثم أردف:

- صعدت هنالك بنفسي وجربته واتضح لي أنه يخصها.

قال (غروب) وقد تذكر أمرًا:

- شاهدت (امتنان) أو (إحسان) أو...

قاطعه متسائلًا:

- تقصد (إلهام)؟

وافقه بإيماءة من رأسه وهو يقول:

- نعم هي ذي، شاهدتها تلقي بهذا المقبض من حقيبتها، لعلها هي، وفي الغالب هي أيضًا المتسببة في تلك الحوادث التي كادت تؤذي (برلنت).

فكر (ربيع) قليلًا قبل أن يقول:

- هي تحمل ضغينة لا تفسير لها ضدها مما يجعلها المشتبه به الأول.

ثم أردف مشيرًا إليه بسبابته:

- لكن لا تنس أن (نعيم) تواجد داخل تلك الحجرة قبل دقائق من سقوط اللوحة وأنت بنفسك شككت في أمره.

تذكر أمر ذلك الفتى الضخم، نعم لقد تواجد أعلى اللوحة قبل سقوطها، وكان يراقب عبر النافذة بصورة مريبة، ثم قال متسائلًا:

- أتخالهما شريكين؟

أجابه بحزم:

- لا زال الأمر مبكرًا كي نصدر عليهما حكمًا، لذلك نحن أمام ثلاثة أسئلة يتوجب علينا إجابتها.

رمقه بتساؤلٍ فأردف قائلًا:

- أولًا: من الذي حرك اللوحة؟ ثانيًا: أين تمكن من تحريكها؟ ثالثًا: كيف تسنى له تحريكها؟

قال (غروب) وهو في حيرة:

- ولكن كيف بوسعنا الحصول على إجابات لهذه الأسئلة؟

أجابه ببداهة:

- بأن نبحث طبعًا، ماذا عدا ذلك؟ من الغد لن نترك حجرًا إلا ورفعناه ونظرنا أسفله ولا بابًا مغلقًا إلا وفتحناه لنرى ما خلفه حتى

نصل إلى المجرم، وعلينا مراقبتها جيدًا؛ فطالما أنها خارج منزلها أو فصلها المدرسي فهي في خطرٍ جسيم.

تساءل متعجبًا:

- ما سر تيقنك من أنها لن تتعرض للخطر داخل منزلها أو فصلها المدرسي؟

ابتسم (ربيع) لسخافة السؤال ليجيبه بكياسة:

- جميع الحوادث التي تعرضت لها (برلنت) لم تشمل هذين الموضعين.

شعر بالحرج من غبائه لكنه انتبه إلى أمر ما ليسأله:

- وماذا عن عمتها؟ إن تلك الأفعى تبغضها كالموت، هل من المعقول تركها لها هكذا كالفريسة السائغة؟

أجابه ببداهة:

- كلنا ندرك مدى كرهها ومقتها لابنة أخيها؛ إلا أنها دائمًا في متناول يدها، فلماذا لم تقدم من قبل على قتلها؟

كان جوابه منطقيًّا، لكن ماذا لو أن تلك الأفعى سعت لابتلاع (برلنت)؟ ليقطع (ربيع) حبل أفكاره وهو يمد له يده متسائلًا:

- هل أنت معي؟

وبعد تردد صافحه وهو يقول:

- معك.

لتبدأ رحلة البحث عن المجرم دون أن يعلما ماذا كان يخبئ لهما القدر من أحداث لا يتصورها العقل.

***

وأثناء سيرهما إذ فوجئ (ربيع) بصديقه وقد توقف عن السير، وبدا متوترًا، وظهرت في عينيه نظرة هلع، واتجه ببصره تلقائيًّا، فوجد قطًّا يسير باتجاههما ليقوم بإخافته بأن ركض نحوه؛ كي يبتعد عنهما، وأسرع القط يلوذ بالفرار. ثم عاد إلى صديقه المتوتر وربت على كتفه ليهدئه، ترى لماذا هو مصاب بهذا الرهاب تجاه القطط؟ سبق له سؤاله مرارًا، لكنه هو نفسه لا يدري ما السبب، ولا يذكر أن حدث له في الماضي ما يسبّب له كل هذا الذعر لمجرد رؤيته لهذه الكائنات.

تابعا سيرهما حتى وصلا إلى منزل (غروب)، ومن ثَمَّ ودَّعه، وقبل أن يتوجه صوب باب المنزل سمع (ربيع) يقول له:

- بالمناسبة... حاول أن تبدو أكثر لباقة مع (برلنت) فهي الفتاة الوحيدة القادرة على تحمل أحمق مثلك.

ضايقته النصيحة ليتابع سيره متظاهرًا وكأنه لم يسمع حرفًا ليبتسم (ربيع) ثم يرحل مبتعدًا.

مر (غروب) عبر حديقة منزله الصغير، وبدلًا من أن يتوجه إلى الباب سار إلى الناحية اليمنى من الحديقة ثم وقف أمام قبر صغير عليه رسم طفولي لطائر أزرق اللون ثم قال بنبرةٍ حزينة:

- ها قد عدت مجددًا يا صديقي.

وظل واقفًا لبرهة من الوقت قبل أن يعود إلى باب المنزل ثم حرك مقبضه لينفتح، وما كاد أن يلج حتى شعر بصداع شديد، وبدأ يسمع صوتًا غليظًا يحدثه بكلامٍ غير مفهوم، كان يشعر وكأن جبلًا قد سقط على رأسه ليرى صورًا من ماضٍ تمنَّى نسيانه.

امرأة مصابة بعيارٍ ناري، ضابط يستجوبه، طائر يستنجد به، صبي أمام المرآة يحدق به غاضبًا، يعود الصوت الغليظ الخشن مرة أخرى، الكلام غير واضح، الألم داخل رأسه يشتد لدرجة خرّ على ركبتيه وهو يعتصر رأسه بيديه محاولًا كبحه، وفجأة ودون سابق إنذار إذ بالألم

يتوقف، نهض بحذر وهو لا يعي ما حدث، ولا يعي لماذا تتكرر هذه الظاهرة معه في الآونة الأخيرة، ألها علاقة بالأصوات التي تحرمه لذة النوم؟

وبمجرد دخوله المنزل إذ شعر بدوار ليفقد توازنه ويرتطم كتفه الأيمن المصاب بالباب ويصرخ من شدة الألم، ليسمع صوت شيخ في الداخل يقول ساخرًا:

- ماذا؟ هل داس عليك أحدهم أخيرًا؟ سبق أن نصحتك بارتداء حذاء مرتفع كي يسمح للناس من رؤية قزم مثلك.

رد غاضبًا وهو يكاد يشتعل غيظًا:

- إن آخر ما ينقصني هو رأي عجوز مخرف مثلك.

ضحك الشيخ وهو يداعب لحيته البيضاء الخفيفة والذي لم يكن سوى (إسحاق فخري) جد (غروب)، وهو روائي ومعلم لغة عربية متقاعد تكفل برعاية حفيده بعد أن توفيت والدة الأخير، وحمل على عاتقه تحقيق رغبتها بأن يغدو ابنها عضوًا فعالًا في المجتمع، لذلك لا ينفق من ورثها إلا ما يكفي لتعليم حفيده، ويدخر الباقي لكي يُلْحِقه بإحدى الجامعات المرموقة في المستقبل، ولا أحد يعلم حتى الآن سبب فقدانه لبصره، وكلما يتم سؤاله عن السبب يتفاداه بإجابة ساخرة.

وتساءل الجد:

- كيف كان يومك؟

كاد أن يخبره بأحداث اليوم إلا أنه فضَّل عدم إقحام شخص آخر ضمن قائمة القلقين عليه، فيكفيه (برلنت)، والتي لا تكف عن معاملته كصبي.

لكم يحسد صديقه (ربيع) القادر على كسب ثقة من حوله.

أيمكن في يوم أن يغدو مثله؟ لذلك أجابه بفتور:

- كان يومًا مملًا كسائر أيام حياتي.

كان جده جالسًا بجوار المذياع يستمع لإحدى أغاني (فيروز) باستمتاع كعادته فجذب أحد المقاعد وجلس بجواره ليسأله الجد متهكمًا:

- أتيت لتزعجني كعادتك؟

قال (غروب) في نفسه مغتاظًا وهو يرمق قدح القهوة الخاص به، وقد تم إعداده مسبقًا "إن كنت أزعجه حقًّا، فَلِمَ تكبَّد عناء إعداد قدح القهوة الخاص بي؟ إنه يستمتع بصحبتي لكنه لا يجرؤ على البوح بذلك"، ثم استهل يستمع وروحه تتمايل مع تلك الأنغام العذبة، ورشف رشفة من قدح القهوة ليمتزج عبقها مع الألحان فيعطي مذاقًا محببًا إلى النفس لا يمكن مقايضته بكنوز الأرض قبل أن يعكر صفو ذهنه الجد وهو يسأله متهكمًا:

- هل أهلكك العشق يا فتى؟

أجابه بانزعاج:

- لا أدرى إلى متى ستظل تردد هذا الهراء.

رد الجد:

- سبق أن أخبرتك أنه لا يستمع إلى (فيروز) إلا عاشق ولهان.

قال بفتور:

- الحب حماقة وضعف لذلك لا يحب إلا الأحمق الضعيف.

قال الجد متهكمًا:

- إذًا فأنت زعيم الحمقى والضعفاء.

لم يجبه وكان منشغلًا بالسماع إلى الأغنية وعقله مشغول، لا يدري لماذا تذكر (برلنت) فجأة.

أهو القلق؟ ثبت الآن أن هنالك مَن يسعى للإضرار بها، لكن لماذا؟

لا يوجد سبب على وجه الأرض يمكن إقناعه بأذيتها، فكيف بموتها؟ هل يخبرها؟

عليه أولًا أن يستشير صديقه فلربما تسبّب لها بالهلع.

من الغد سيبدأ البحث عن المجرم، ولن يبرح حتى يجده، ولو كلفه ذلك حياته.

أمضى بقية الليلة مستلقيًا على فراشه يطالع كتابًا عن الطيور في محاولة للانشغال عن تلك الأصوات داخل رأسه لأناس تتعذب، كان في قرارة نفسه يعلم أنها لعنته التي ستظل تطارده إلى آخر يوم في حياته، لذلك أجهد نفسه في مطالعة الكتاب حتى انتصر عليه النعاس ليسقط رأسه على وسادته ويغرق في أحلام في الغالب لن يذكرها.

***

أما في منزل (برلنت) وعلى فراشها حيث تواجه كابوسها المعتاد، على أرض صخرية وسماء قرمزية ملتهبة يتوسطها قمر يكاد يكتمل، تنظر حولها لتجد (غروب) يركض بحركةٍ بطيئة ولا تعبير على وجهه، يلاحقه بشراسةٍ قطٌ أسود اللون حجمه كحجم الفيل.

تحاول الحركة إلا أن جسدها مشلول، تصرخ صرخة مكتومة لا تكاد هي ذاتها سماعها.

وفجأة يشتعل القمر ويزداد توهجًا حتى يحرق كل ما حوله لتجد نفسها وحيدة في عالم مظلم، وتستيقظ مفزوعة والعرق يغمر جسدها، وتكتشف أنه لم يتعدَّ كونه كابوسًا آخرًا لتجهش في البكاء بحرقة.

"ماذا يعني ذلك؟

أهو إنذار بأن صديقها في خطر؟

ما الذي يتوجب عليها فِعْله لتجنبه؟

وأمضت بقية الليلة بلا نوم والخوف يكاد يقتلها".

***

الفصل الثالث
"عهد قابل للنكوث"

"يوم اكتمال القمر، أكان بداية النهاية؟ أم نهاية مأساتي؟ وليُبعث من رمادها حياتي المنشودة؛ حيث تعزف الأبدية لحنها السرمدي، وتتراقص على إثرها رغبات عجزت عن تحقيقها".

***

وفي صباح اليوم التالي، غادر (غروب) منزله حاملًا عبوة بها طعامٌ مخصَّص للطيور، وتوجه بها نحو حديقة منزله، وبدأ في نثر الحبوب عليها، ولبث قليلًا حتى بدأت الطيور في التجمع والتقاط الحبوب الملقاة على الحديقة، وهو يراقبهم باستمتاع.

"كم تمنى لو أنه يملك جناحين ويحلق بعيدًا عن هنا".

كان صوتٌ قادمًا من ناحية منزل مقابل لمنزله قطع عليه استمتاعه هذا، فمد بصره، ليرى جاره وولديه في طريقهم نحو مدرسة الأولاد لقد التقت أعينهما ببعض وكأنما التقت النار بالماء، قطّب الجار حاجبيه واشتد عبوس وجهه وجذب ابنيه مسرعًا بهما بعيدًا وكأن لسان حاله يقول لـ(غروب): "متى تموت وتخلصنا من شرك؟".. لقد اعتاد (غروب) على كل هذا، اعتاد الوجوهَ العابسة والنظرات الغاضبة، حتى باتت أمرًا اعتياديًا بالنسبة له، بل إنه قد يجن جنونه إن لم يحط بنظرات الحقد تلك.

وتذكر أن عليه الإسراع إلى المدرسة حتى لا تغرقه (برلنت) ببحار قلقها كعادتها.

***

وبمجرد أن وصل إلى المدرسة حتى وجدها بجوار البوابة تنتظره.

كانت شاردة الذهن بسبب ذلك الكابوس الذي أقلق مضجعها، وهدم أسوار الأمن والطمأنينة لديها، ثم تذكرت أنها البارحة بدت قاسية مع (غروب) على الرغم من سعيه الدائم لحمايتها، والذي أدى إلى الإضرار بجسده خلال الأشهر الماضية، كما أنه تكبَّد عناء الاعتذار لها، وهو أمر قلّما يصدر عن شخص عنيد مثله معتد بكبريائه.

ثم ماذا لو كرهها بسبب إفراطها في القلق عليه؟

أفزعها مجرد التفكير في هذا الصدد لذلك عقدت العزم على إخفاء قلقها عنه.

ولم تلاحظه بسبب انهماكها في أفكارها وهو يدنو منها، وقد انشغل بوجهها المنزعج ليتساءل في قرارة نفسه عن السبب الذي يجبرها على حمل هذا الكم الهائل من القلق.

ألن تكفَّ عن لعب دور أمه؟

لن يتعجب لو اتضح أنها قامت بتبنّيه أو أمر مشابه.

عليه أن يكون فَظًّا معها اليوم كي تتوقف عن هذه المهزلة.

لن يبتسم لها.

لن يبتسم حتى لو انطبقت السماء على الأرض.

وما أن رأته حتى أشرق وجهها بابتسامة رقيقة.

وابتسم.

ولاحظ الإرهاق باديًا عليها، وهنالك سواد أسفل عينيها ليسألها بفضول:

- سهرتِ البارحة؟

توترت وشعرت بالحرج من الكذب عليه إلا أنها قالت:

- كنت أراجع أحد الدروس فلم أنم جيدًا.

أمعن النظر فيها وهو يشعر وكأنها تخفي أمرًا لتشيح بوجهها وهي تتذكر ذلك الكابوس، وتحاول جاهدة أن تمنع الدموع من الانهمار، إنها لا تجيد الكذب، وهي تدرك أنه يعلم ذلك، لكن هل يضغط عليها ليعرف ماذا تخفي؟

هاجس لديه يخبره بعدم إزعاجها.

لعلها تخبره لاحقًا.

فهو يعلم جيدًا كم هي عنيدة، ولن تفصح أبدًا عما يدور في رأسها.

سألته بفضول:

- هل كتفك بخير؟

أجاب بحماس:

- بالطبع بخير، ألم يخبرنا الطبيب بذلك؟

بدا عليها عدم التصديق ليحرك ذراعه وهو يجاهد في كبح ألمه، وقد احمر وجهه من جراء فعله، إنه لا يجيد الكذب أيضًا، لكنه لا يدرك أنها تعلم ذلك.

هي واثقة أنه يتحامل على نفسه كي لا يُخيفها.

كم هو عنيد! لكنها ستتظاهر بتصديقه حتى لا يدخلان في جدالٍ لا مخرج منه.

تبادلا الحديث بينهما حتى تم الإشعار عن بدء الدرس الأول ليتوجه الطلاب إلى فصولهم المدرسية.

كادت (برلنت) أن تقصد الفصل المدرسي لولا أن رأت صديقها وقد بدا عليه التوتر وعيناه تجوبان أرجاء المدرسة لتسأله بفضول:

- عمَّن تبحث؟

أجابها بعدم ارتياح:

- لا يبدو لي أن (ربيع) قد حضر إلى المدرسة اليوم، هل رأيتِه؟

أجابته في حيرة:

- لا، لم أره اليوم أبدًا.

أمر غريب! إنه مهووس بمواعيده، ومن النادر أن يصل بعد بداية الدرس الأول، ترى أين هو الآن؟ وهل للأمر علاقة بمن أراد إسقاط اللوحة؟

غمره القلق من هول الفكرة، لعله تمكن من الحصول على معلومة ما أو شيء من هذا القبيل مما أدى إلى اختطافه.

في حين بدا الأمر بالنسبة إلى (برلنت) غير منطقيّ، لِمَ كل هذا القلق لغياب صديقه؟

لذلك قالت له مطمئنة:

- لعله في طريقه إلى المدرسة، فلا داعي للقلق، فمهما كان ملتزمًا بمواعيده لا بد أن يحدث له ما يعطله.

من الطبيعي ألا ترى في الأمر ما يريب، لكن لو علمت بأن هنالك مَن يقصد حياتها؛ لهلكت رعبًا، هل يخبرها؟

فليكن، على كل حال فهي أيضًا طرف في هذه القضية ليقول بجدية:

- (برلنت) لديَّ ما أقوله لكِ.

نظرت له باهتمام قبل أن تسأله:

- أهنالك خَطْب ما؟

أجابها بتوتر وهو يحاول أن ينتقي الكلمات:

- الحقيقة أن...

قاطعته سكرتيرة المدير قائلة:

- إن هنالك مكالمة تخصك.

رمقها والتساؤل باديًا على وجهه، أيكون (ربيع) هو المتصل؟

سار خلفها و(برلنت) تتابعهما بعينيها وهي لا تعي شيئًا، ثم ماذا أراد أن يخبرها قبل أن تظهر السكرتيرة؟

وعند مكتب السكرتيرة والذي يعج بأصص الزرع وفقًا لتعليمات مدير المدرسة المهووس بالطبيعة كهوسه بالنظافة ليتناول (غروب) السماعة، وتساءل بتوجّسٍ عن صاحب المكالمة ليسمع من الطرف الآخر صوتًا يعرفه جيدًا يقول له بثقته المعهودة، وإن بدا بعض الانزعاج يغمره:

- المعذرة يا صديقي فقد حدث لي ظرف منعني من الحضور إلى المدرسة...

قاطعه (غروب) وهو يهتف بغبطة لدرجة أفزعت السكرتيرة:

- (ربيع) أنت بخير، خلت أن مكروهًا قد حلَّ بك.

رد عليه بخيبة أمل:

- لا زلت أحمق كعهدي بك، أتتصور أن هنالك مَن بوسعه إيذائي؟

أجابه بمرح:

- على الأقل لم أخيّب ظنك بحماقتي.

ضحك (ربيع) قبل أن يقول بجدية:

- في الصباح كان سائق المؤسسة متسمرًا أما باب البيت ليقلني إلى المؤسسة، فأبي يرغب بحضوري لكي أعاونه في بعض الأعمال بعد أن تسللت وعكة صحية لجسد ابنه الأكبر.

رد بامتنان:

- المهم أنك بخير، كدت أن أموت جزعًا وتصور... كنت على وشك إخبار (برلنت) بالخطر الذي يحدق بها.

التفتت إليه السكرتيرة فجأة ليرتبك، ثم قال مصححًا:

- أعني إخبارها أن إهمالها لدروسها هو خطر على مستقبلها الدراسي.

سمع (ربيع) يسأله بصوت كالفحيح:

- أكنت ستشي لها عن وجود شخص يرغب في قتلها؟

لسبب ما شعر بأن عاصفة ستحل به، لكنه أجاب بتوتر:

- نعم؟

هنا صاح بغضب لم يعتده منه:

- أجننت؟ إنك بذلك تسبّب لها الهلع.

ثم قال له محذرًا:

- إياك أن تخبرها، إياك.

لم يفهم سبب تبدل مزاجه، لكن من الواضح أن إخبار صديقته بالحقيقة كان فكرة خاطئة ومن ثم سمع (ربيع) يقول بتوتر:

- من الأفضل أن أنهي المكالمة الآن فأبي يتصل بي.

وأنهى المكالمة قبل أن يسأله متى سيعود، ثم عن أيّ مكالمة يتحدث؟ إنه لم يسمع صوت رنين هاتف، لعله ضعيف السمع، وفي الوقت ذاته داخل مكتب فاخر لدى إحدى المؤسسات؛ حيث وضع (ربيع) سماعة الهاتف منهيًا مكالمته مع صديقه، في حين كان الهاتف الآخر يصدر إضاءة مما يدل على وجود مكالمة ليرفع السماعة بتوجس ويسمع صوت أبيه يقول بضيق:

- مع مَن كنت تثرثر عبر الهاتف هذه المرة أيضًا؟

أجابه متوترًا:

- كنت أطمئن صديقي وحسب.

صاح به متجهمًا:

- لاحظ أن هذه هي المكالمة الثانية التي أجريتها اليوم أثناء العمل، متى ستتصرف كشخصٍ بالغ مثل أخيك؟ إن ترددك وجبنك هما ما سيؤهلانك لتمضي بقية عمرك فاشلًا.

وأنهى المكالمة و(ربيع) يشعر بالحنق من هذه الإهانة غير المبرَّرة، كان يتفهم أنه يفضّل ابنه البكر عليه بما أن هذا الأخير هو ابن زوجته في حين أنه ابن الخادمة، ولربما نقله إلى مدينة أخرى كان بأمر من زوجة أبيه، لكن أن يعامله هذه المعاملة القاسية هو أمر لا يفهمه، خاصة أنها أضحت أشد قسوة خلال هذه الأشهر الأخيرة الماضية، ثم نحَّى هذه الأفكار جانبًا، وعاد إلى العمل وعقله مشغول بصديقيه.

***

أما في المدرسة وعند حجرة السكرتيرة حينما همَّ (غروب) بالخروج إذ اصطدم بشخص ما ليتبين أنه هو المدير (عزيز بدران) والذي رمقه بنظرة استعلائية، ثم سأله بوقاحة:

- ما الذي جاء بك إلى هنا أيها الجرذ؟

أجابه ببرود:

- كنت أجري مكالمة مع...

قاطعه باحتقار قائلًا:

- لسنا مركزًا للاتصالات.

قال موضحًا:

- لكن...

قاطعه مرة أخرى:

– هيا عد إلى فصلك، ولا تنسَ أن تبلغ جدّك الأعمى بدفع تعويض عن اللوحة التي حطمتها.

زفر غاضبًا ثم غادر الحجرة وصفق بابها بشدة، وهو يتمنى خنق ذلك المتعجرف في حين اهتزت إحدى أصص الزرع لدى مكتب السكرتيرة، وشرعت تترنح ليشحب وجه المدير ويهرع ليمسك بها كي لا تسقط، ثم تنفس الصعداء بعد أن نجح في منعها من السقوط ليتوجه بعدها صوب مكتبه قبل أن تلتقي عيناه بعيني السكرتيرة الغاضبتين وهي تقول:

– ليس هو مَن حطم تلك اللوحة، كلانا يعلم هذا جيدًا.

ردَّ عليها بفظاظة:

– لا، ليس لي عِلْم بشخصٍ آخر عداه يمكن أن يتسبّب في تحطيمها، أم أنكِ تعلمين من هو الفاعل وتسعين إلى إخفاء هويته؟

ارتبكت وأشاحت وجهها عنه ليتابع سيره نحو مكتبه بتبختره وتعاليه المعتادين.

***

لم يكن بـ(غروب) أي رغبة في الذهاب إلى الفصل المدرسي، فكّر في أن ينام قليلًا لدى عيادة الطبيب حتى موعد الراحة، ثم يشرع في مراقبة (برلنت)؛ فطالما أنها خارج منزلها أو فصلها فهي معرَّضة للخطر، لذلك لا ضَيْر أن يغفو قليلًا حتى موعد الراحة خاصة وأن الأصوات تغدو أقل إزعاجًا في النهار.

وبعد أن وصل إلى عيادة الطبيب (سرمدي)، وهمَّ أن يطرق الباب لولا أن سمع صوت فتى في الداخل يصرخ ألمًا ليشحب وجهه، لكنه

استجمع شتات شجاعته المتبعثرة، وطرق الباب طرقًا خفيفًا على أمل ألا يسمعه أحد إلا أنه وبعد لحظات انفتح الباب ليجد الطبيب (سرمدي) أمامه وعلى وجهه نظرة متسائلة، لكن بمجرد أن أدرك أن الطارق هو (غروب) حتى مال إليه وسأله هامسًا:

- أتيت لتنام؟

هزَّ رأسه إيجابًا ليهتف الطبيب بمرح:

- مرحبًا بك في فندقي المتواضع.. أعني عيادتي المتواضعة، قد حضرت في الوقت المناسب حيث لا مرضى لديَّ الآن.

قال الفتى المستلقي على الفراش الطبي محتجًا:

- أنسيت أمري؟

نظر إليه متعجبًا قبل أن يسأله:

- من أنت؟ ومالي أراك داخل عيادتي؟

أجابه بذهول:

- أمصاب بالزهايمر أنت؟ أنا المتضرر في ساقه من جراء لعب كرة القدم.

بدا أن الطبيب قد تذكره ليقول بلا مبالاة:

- نعم... نعم... إن ساقك سليمة يا فتى بوسعك الانصراف.

مجددًا صاح باحتجاج:

- لكنك للتوّ أخبرتني أنها قد تكون مكسورة.

رد بنفاد صبر:

- جلَّ مَنْ لا يُخطئ.

صاح غاضبًا:

- لكنها تؤلمني.

صاح بغضبٍ مماثل وهو يتوجه نحو مكتبه:

- أتصدق ساقك وتُكذبني؟

ثم أخرج من درج مكتبه منشارًا كهربائيًّا وهو يقول كالمخابيل:

- بوسعنا أن نتيقن بأنفسنا.

شحب وجه الفتى وهو لا يكاد يصدق عينيه ليسمع الطبيب يردف:

- خاصة وأن مجموعة السيقان لدي ينقصها ساق بهذا الحجم.

قفز الفتى من الفراش وهرع خارج العيادة وهو يعرج وعند الباب صاح:

- سأشكوك إلى أمي.

وأغلق الباب خلفه ليقول الطبيب بارتياح موجهًا كلامه إلى (غروب):

- يمكنك الآن النوم بلا منغصات.

كانت عيناه مسمرتين على المنشار ليلاحظ ذلك الطبيب فيعيده إلى الدرج وهو يقول ببساطة:

- لا تقلق لن أنشر أعضاءك؛ فالعملاء ليسوا بحاجة إلى أحجام ضئيلة.

تحول قلقه إلى غيظ ليقول وهو يقفز إلى الفراش:

- فليكن، لا تنسَ أن توقظني حال بداية فترة الراحة.

أوصد الطبيب باب العيادة بالمفتاح وتوجه صوب مكتبه وهو في قمة سعادته.

إن نوم (غروب) داخل عيادته لهو حجة لكي يمتنع عن استقبال مرضى وينعم بفترة راحة إضافة إلى ممارسة هوايته المفضلة، لذلك جذب أحد المراجع الطبية وشرع يتأمل مصطلحاتها اللاتينية بتقزز، لطالما تساءل كيف يقرأ هؤلاء الأطباء هذه الكلمات المعقدة؟ وألقى نظرة خاطفة إلى ضيفه، والذي غط في نومٍ عميق ليفتح درج مكتبه

بحذر ويخرج قصة مصورة مخصصة للأطفال ويدسها بين صفحات المرجع الطبي المعقد ليشرع في ممارسة هوايته المفضلة وتتحول نظرته الملولة إلى ابتسامة بلهاء.

***

وبعد عدة ساعات فتح (غروب) عينيه ليجد وجهًا جميلًا مشرقًا يتأمله بحنان.. كان ذلك وجه (برلنت).

شعر بحرجٍ شديد، فلم يكن يحبّذ أن يحدق فيه أحدهم وهو نائم، لذلك أدار لها ظهره وهو يقول بضيق:

– ليس من اللائق النظر إلى شخصٍ نائم هكذا.

ردت بخجل:

– أردت إيقاظك، لكنك بدوت نائمًا في سلام، فلم أملك الجرأة على ذلك.

نهض من الفراش وألقى نظرة إلى الساعة ليتفاجأ بأنها تشير إلى انتهاء الدوام المدرسي لينتفض جزعًا، ومن ثم يعاتب (سرمدي):

– سبق أن أكدت لك بضرورة إيقاظي لدى فترة الراحة.

رد الطبيب وهو يهرش رأسه بحرج:

– الحقيقة انشغلت بمعرفة ما إذا كان البطل سينقذ حبيبته من العصابة.

تساءل مستنكرًا:

– بطل؟ عصابة؟

استدرك (سرمدي) نفسه ليقول مصححًا:

– أعني انشغلت ببحث علمي مزعج ولم أنته منه إلا منذ دقائق.

سألته بفضول:

- لماذا أردت الاستيقاظ في ذلك الوقت على وجه التحديد؟
تبًّا لقد أوقع نفسه في ورطة.
قال محاولًا ألا تلتقي عيناه بعينيها حتى لا يفتضح كذبه:
- أردت أن نمضي بعض الوقت سويًّا.
أمعنت النظر إليه وهي تسأله:
- حقًّا؟
قال لها بحرج:
- بالطبع ولماذا أكذب عليكِ؟
ابتسمت وقد بدا أنها صدقته لتسأله:
- وهل علمت بأخبار (ربيع)؟
أجابها بارتياح:
- كان هو صاحب تلك المكالمة، وأبلغني أن والده طلب مجيئه إلى المؤسسة لمعاونته بعد أن تعرض أخوه لوعكة صحية.

شعرت بامتنان لينهض مسرعًا قبل أن تتحول العيادة إلى غرفة للتحقيقات، ولن يتعجب لو وجدها تسأله "أين كنت في اليوم السابع عشر من الشهر المنصرم؟".

واتجها سويًّا إلى خارج العيادة، ولم ينس أن يشكر الطبيب على الضيافة، والذي كان منهمكًا في قراءة مرجع طبي متحينًا بصبر رحيلهما ليستأنف هوايته المفضلة، وخارج المدرسة حيث سارا سويًّا متجهين إلى منزليهما، كانت عيناه تجوبان ما حولهما باحثًا عن أيّ شخص يسعى إلى الاعتداء على صديقته ثم سمعها تسأله:
- ماذا كنت تود إخباري؟
تفاجأ من سؤالها ليسألها بدوره:
- إخبارك ماذا؟

توقفت عن السير ونظرت إليه بعينين متسعتين ملأتهما الدهشة لتقول له:

– هاتفتني قبل البارحة، وطلبت مني لقاءك أسفل اللوحة، أنسيت؟ حينما سألتك لماذا بدا صوتك مختلفًا بعض الشيء، وأجبتني أن السبب هو عطل في الهاتف، ولم أتعرف عليك إلا بسبب أسلوبك في الحديث.

توقف هو بدوره وقد بدا في حيرة من أمره، هو متأكد من أنه لم يتصل بها ولم يطلب منها ذلك، إذًا مَن؟ لعله من ينوي الإضرار بها، هاجس بداخله يخبره بعدم إثارة هلعها ليجيبها بحرج:

– لقد فرَّ من ذاكرتي ما وددت إخبارِكِ به.

لم يبد أنها سمعته لتقول له:

– (غروب) إن صوتك منخفض جدًّا فلم أتمكن من سماعك.

كرر قوله لها بصوتٍ أعلى، وبالكاد تمكنت من سماع ما قال لتقتحم خيبة الأمل على قسمات وجهها.

وتابعا سيرهما وهو يشعر بتأنيب الضمير، لكم من مرة تحملته بما يفوق ما يتحمله أيّ شخص آخر، منذ بداية صداقتهما وهو يمطرها بالكوارث، ولا يجد منها إلا العفو والنسيان، ربما تتحول إلى مصدر إزعاج في الآونة الأخيرة بسبب قلقها غير المبرر، لكن ما الضير في ذلك؟

فلتعامله كصبي، إن كان ذلك يرضيها، عليه قليلًا أن يدوس على كبريائه.

ودون أدنى تفكير منه توقف عن السير ونادى:

– (برلنت).

إلا أنها تابعت السير وكأنها لم تسمعه، وهو لا يدري ما يقول، ولسبب ما شعر بحرارة على وجنتيه ليهتف من دون وعي:

- أعدك ألا أجعلك تبكين مجددًا.

شعر بالحرج والحماقة مما قال ليتساءل في نفسه: "ما هذا العبث الذي تفوهت به للتو؟ إنني لم أفِ بأيّ وعد قطعته لها، لِمَ أقدمت على أمر أنا واثق من عجزي عن الوفاء به؟".

أما (برلنت) فظلت تتابع سيرها دون أن تُعقّب، أهي غاضبة منه؟

وما إنْ انتهت بها خطاها إلى ناصية الشارع حتى أخذت تنظر يمنة ويسرة تبحث عن شيء ما، ثم التفتت إلى الخلف حيث يقف (غروب) لتبتسم وتسأله متعجبة:

- ما بك؟ لِمَ أنت واقف هنالك؟

تفاجأت أنها لم تكد تسمع صوتها، ثم ازداد اتساع عينيها دهشةً أنها ترى حركة شفتيه، لكنها لا تسمع صوتًا، وأدرك (غروب) ذلك فهي ليست بالمرة الأولى، لقد نفدت بطاريات جهاز السمع لديها، قالت (برلنت)، وهي تنزع الجهاز من أذنها:

- كان من المفترض أن يصدر صوتًا ينذر بانخفاض مستوى البطاريات، يبدو أنه تعطل.

وانتبهت إلى نظرة حزينة من صديقها على الجهاز لتخفيه بسرعة داخل حقيبتها، وهي تقول بمرح مصطنع:

- على الأقل لن يزعجني صوت ضجيج الزحام.

كان قلبه يعتصر ألمًا كلما شاهد ذلك الجهاز، بعض الجروح يظل صداها في أروحنا ولو اندملت أو تظاهرت بذلك، كاد أن يخرج من حقيبته كراسة وقلمًا، ويكتب لها يخبرها بضيقه، لكنَّه فضَّل عدم الدخول في جدال آخر، ثم مدَّ يده بحرج متحاشيًا النظر إليها لتعانق (برلنت) يده بيدها بمرحٍ وقد احمر وجهها خجلًا ليتابعا سيرهما

متشابكي الأيدي كالأيام الماضية حينما توشك بطارية جهاز السمع على الفراغ.

وبعد برهة من السير معًا إذ وصلا بالقرب من منزلها فتنزع يدها ليشعر وكأن روحه قد انتزعت معها لتبتسم ابتسامة حزينة وهي تقول:

- الأفضل ألا ترانا عمتي سويًّا وإلا لمنعتني من متابعة حضور المدرسة.

هو يعلم كم تبغضه تلك المرأة، وإن كان يتفهم ذلك أحيانًا، لذلك تركها تعبر الشارع وحيدة، وعيناه لا تنزاحان عن الطريق؛ حرصًا على ألا يصطدم بها أيّ سائق متهور، وما أن عبرت نصف المسافة حتى التفتت إليه ولوحت له بيدها بمرح، وابتسم لها مشجعًا، ولا زالت عيناه تجوبان المنطقة حتى يتأكد من...

لكن مهلًا، لقد لاحظ سيارة داخلها ثلاثة أشخاص وأحدهم يشير إلى (برلنت)، ومن ثم قام السائق بتدوير محرك السيارة والانطلاق بها لتصدر عجلاتها ذلك الصرير المزعج وتندفع نحوها... نحو (برلنت).

***

لم يكد يصدق عينيه وهو يرى تلك السيارة تندفع نحو صديقته والتي لا تدري ما يدور حولها ليفيق من ذهوله ويهرع نحوها إلا أنه أدرك أن السيارة ستسبقه إليها خاصة وأنها بمحاذاته الآن، ولم يجد إلا أن يُلقي بحقيبته نحو السائق الذي يبعد عنه ذراعين تقريبًا لتعبر الحقيبة نافذة السيارة المفتوحة وترتطم بالجانب الأيسر من وجهه وتغطي عنه مجال الرؤية؛ ليفقد سيطرته بالسيارة من فرط المفاجأة إضافة إلى السرعة التي انطلق بها لتميل به السيارة وتصطدم بإحدى

السيارات القابعة على جانب الطريق، وكانت عينا (غروب) مثبتة على صديقته، وهي تدنو أكثر من منزلها، ثم لاحظ ركاب تلك السيارة وهم يغادرونها يحاولون جمع شتات وعيهم الذي تبعثر مع تلك الصدمة العنيفة، وأحدهم يمسك بأنفه الذي ينزف دمًا، وتمنى لو تسرع صديقته قليلًا لدخول منزلها قبل أن تلحق بها العصابة، ولكن الذي أدهشه أنهم تجاهلوها تمامًا، وجالت أعينهم تبحث عن المتسبب عن تلك الحادثة حتى وقعت تلك الأعين عليه.

وعلى قَدْر ما أسعده انصباب اهتمامهم إليه على قَدْر دهشته من تجاهلهم (برلنت)، ألهذه الدرجة أنساهم حقدهم أمر صديقته؟

لذلك لاذ بالفرار بسرعة معقولة كي يشجّعهم على اللحاق به والابتعاد عن هذا الموقع، وبطرفٍ خفي من عينه لمحهم يركضون خلفه في حين دنت صديقته أقرب من منزلها غير عالمة بتلك العصابة التي تلاحقه، وقد شعر بالامتنان لتعطل جهاز السمع لديها.

وانتابه هاجس غريب...

فلربما هذه آخر مرة يراها.

وبعد برهة من الزمن والركض أدرك أخيرًا تمكّنه من تضليلهم؛ حيث لم يعد يشعر بأن هنالك مَن يتبعه ليغير وجهته شطر منزله حتى انتبه إلى أن أحدهم قد ظهر أمامه لينطلق راكضًا إلى الجهة المعاكسة ولم يفطن إلا متأخرًا أنه مُحاصَر ليتلقى ضربة خلف رأسه ويفقد بعدها الوعي.

***

في تلك الأثناء حيث أقبل الليل يتوسطه قمر أتم اكتماله، والذي غطى ضياؤه منزل (برلنت) وقد عادت عمتها مكتسية بمعطفٍ طبي

أبيض اللون وخلعت نظارتها، ثم وضعتها أعلى رأسها لتتخلل إطارها شعرها كستنائي اللون، وبدا عليها التوتر والقلق، وخطت مُسرِعةً لتصعد الدرج إلى الطابق الثاني حتى دنت من باب حجرة (برلنت) لتفتحه، فرأتها منهمكة بمطالعة كتاب، ومن ثم التقت عيناها الرقيقتين بعيني عمتها القاسيتين، وأشرقت بابتسامة لها في رقة لتشيح الأخيرة عينيها وتسألها بتوجس:

– أسمعتِ بتصادم السيارات الذي حدث أثناء العصر؟

أجابتها وقد بدت في حيرة من أمرها:

– لا، لم أسمع به.

قالت في حدة:

– الجيران سمعوا به وأنت لا؟ لعلك كنتِ تتسكعين مع ذلك المتشرد كعادتك.

قالت بصدق وقد تذكرت سبب عدم سماعها أيّ صوت وقتها:

– لعل ذلك بسبب حاجة بطاريات جهاز السمع إلى شحن.

ثم أردفت بنبرة حزينة:

– كما أنني لا أسمح لكِ بنعت صديقي بما وصفت.

ردت متجهمة:

– لا يزال صديقك؟ رغم كل ما فعَله بك؟

ولم تنتظر منها إجابة لتدير لها ظهرها وتشرع في تركها وشأنها، لكنها تذكرت أمرًا لتقول لها ببرود:

– المرة القادمة كوني حذرة؛ فلا يعلم المرء ما الذي تخبئه له الأيام من أهوال.

وأغلقت الباب خلفها لتعود (برلنت) إلى القراءة مجددًا، ولم يكن يدهشها أسلوبها القاسي معها، فهي تعلم في قرارة نفسها مدى حبها لها، لكن لسببٍ ما شعرت بخوف جليّ يعتريها ولا ترى له سببًا.

***

وبداخل المؤسسة التي يعمل بها (ربيع) وبينما كان منهمكًا في العمل على الحاسوب إذ تناول قدح القهوة وكاد أن يرشف رشفة منه لولا أن لاحظه، وقد ظهر عليه شرخ ليعتريه القلق على صديقه، لكنه بسرعة نفض الفكرة، ولاحت على شفتيه ابتسامة ساخرة من حماقته، ثم غمغم:

- هل غدوت أؤمن بهذه الخرافات؟ فما دخل الشرخ بمصير شخص؟

على الرغم من أن طريقة تفكيره قد تبدو صحيحة وأن منطقه بالفعل على صواب لكنه لم يكن على دراية بأن صديقه يمر بأصعب لحظات حياته.

فما أن بدأ يعود إليه وعيه حتى استهل في تذكر الأحداث الأخيرة حتى وصل إلى تمكُّن العصابة من الإمساك به، وثارت داخل عقله العديد من التساؤلات، خاصة وأنه لا يعلم أين موقعه، ولا يدري ما الذي ينوون عمله به، لكنه لم يكن خائفًا، طالما أنه تمكَّن من إنقاذ حياة صديقته مرة أخرى وربما الأخيرة.

كانت الحجرة معتمة وبالكاد يتبين ما في داخلها، ثم بدأ في سماع همهمات في الحجرة المجاورة له، على الرغم من كونه مقيد اليدين والقدمين، إلا أنه زحف حتى وصل إلى الجدار الفاصل بين الحجرتين،

ووضع أذنه رغبة في الإنصات ثم أصبح الحديث أكثر وضوحًا؛ فسمع أحدهم يقول متذمرًا:

– ما العمل؟ إلى الآن لم نتلقَ اتصالًا من تلك العميلة.

"عميلة؟! عمن يتحدث تحديدًا؟"، ثم سمع زميله يقول له بحنق:

– وبماذا سنبلغها؟ أننا عجزنا عن دهس الهدف؟

"إذًا فـلم تكن جريمة عشوائية"؛ قالها في نفسه مغتاظًا من سذاجته، فقد شعر بالحنق، عليه أن يهرب من هنا في الحال، حاول جاهدًا فك القيود وهو يسمع ذات الشخص يعاتب زميل ثالث بقسوة:

– لولا رعونتك لكنا أنهينا المهمة بنجاح.

احتج غاضبًا:

– لعلك لست أحمق فحسب، بل أعمى كذلك، فلم تلاحظ تلك الحقيبة التي ألقاها عليَّ ذلك الفتى، ثم ألم تكلّف نفسك العناء بالتفكير ولو قليلًا عن سبب لحاقنا به، والذي –إضافة إلى إفساده خطتنا– فهو يعرف وجوهنا وصنيعتنا جيدًا، وبوسعه إبلاغ الشرطة عنا.

قال زميله بحنق:

– بماذا نعتني؟

قال الثالث بحزم:

– صمتًا فلا وقت لدينا لهذا العبث.

ثم أردف:

– فيما يتعلق بذلك الفتى، ما ترون أن نفعل به؟

أجابه أحدهما بقسوة:

– قتله طبعًا، إلا إذا اشتقتما إلى السجن.

ليقول الثالث محتجًا:

– أنسيتما أن العميلة أمرتنا ألا نمسّ رفيقي تلك الفتاة بسوء؟

رمقاه بعدم فهم ليردف:

- وفقًا لما وصفت لنا عن شابين يرافقان الهدف، أحدهما أشقر الشعر، والآخر قصير القامة ذو شعر غزير أسود اللون، ألا تنطبق مواصفات الأخير على ذلك الفتى؟

بعد برهة من التفكير نهض أحدهم، وهو يقول بغير اقتناع:

- لنفترض صحة ما تدعيه فلا بد من قتله؛ حيث إنه سيبلغ الشرطة عنا إن أطلقنا سراحه.

واستل خنجره من غمده ليستوقفه أحدهم ساخرًا:

- لعلك ساخطًا منه كونه ألقى عليك بتلك الحقيبة.

لم يرد عليه وتوجه إلى خارج الحجرة ولم يبالِ بهما وهما يناديانه ودلف الحجرة المجاورة ليجد (غروب) مستلقيًا على الأرض وأسرع نحوه ينوي طعنه قبل أن يصل زميليه ليتلقى نطحة على أسفل فكه من رأس (غروب)، ويسقط أرضًا يتأوه من الضربة ويسقط الخنجر من يده ليزحف الفتى نحوه يشرع في قطع الحبل المقيد ليديه لكنه غفل تمامًا وجود زميليه ليركل أحدهما الخنجر بعيدًا، ومن ثم أمسكا به وشرعا يلكمانه في عدة مواضع في جسده لقتل حماسه ولم يلاحظا زميلهما المصاب في فكه، وقد انقض على الفتى بخنجره ليطعنه في بطنه ليصرخ به أحدهما:

- أجننت يا أحمق؟ سبق أن حذرتنا العميلة بعدم التعرض له بأذى.

ثم جذب أحدهما منه خنجره في حين قام الآخر بسحبه ليخرجوا جميعًا خارج الحجرة ويحكموا إغلاقها تاركين (غروب) داخلها غارقًا في دمائه، ويصرخ أحدهم بحنق:

- ما العمل الآن؟

ليرد الآخر:

- لا يجرؤ أحدٌ منكما على البوح بما حدث للعميلة، سنتظاهر وكأننا لم نره أبدًا، مفهوم؟

وحدّق بالمصاب أسفل فكه، وقال له متجهمًا:

- خاصة أنت يا أحمق.

سأله الآخر:

- وماذا نفعل بالفتى؟

قال بدون تفكير:

- سندعه حتى يموت وغدًا وبعد قتل تلك الفتاة إما أن نتخلص من جثته أو لا نعود أبدًا إلى هذا الموقع مجددًا، لذلك احرصا على أخذ جميع متعلقاتنا، ومسح بصماتنا قبل أن ننهي مهمتنا.

ثم أردف بتأفف:

- خلتها مهمة يسيرة، لكنها الآن تزداد تعقيدًا.

كان (غروب) يستمع لهم مستندًا بظهره على الحائط وهو غارق في دمائه عاجز تمامًا عن التصديق أنه فشل في إنقاذ صديقته، هل سيموت هكذا سدًى وبكل بساطة؟

لم تكن فكرة الموت ترعبه، لكن الرعب الحقيقي أن تواجه (برلنت) هذه العصابة وحدها، والأشد ألمًا من الطعنة هو علمه بأنه مجددًا قد برع في خذلان شخصٍ آخر، واستهل يسترجع صورًا لمن سبق له خذلانهم.

"أمه..

(النغير)..

والآن (برلنت).

ومجددًا خذل أمه، لقد بنت آمالًا عظيمة حوله.

وشيدت (برلنت) جسور الأمل فوق بحار اليأس.

وكساه (النغير) جناحين ليحلق بواسطتهما في سماء الصداقة لأول مرة في حياته.

لكن ماذا كان المقابل؟

الخذلان!

كانت عيناه تحدقان عبر النافذة إلى القمر المكتمل... "لو كنت أقوى" هتف بها من أعماقه.

لم تكن هذه أول مرة يدنو فيها من الموت، لكنها أول مرة يرغب فيها الحياة، الموت يتراقص داخل الحجرة رقصته الأخيرة... ما هي إلا لحظات ويموت... لكن ما الذي يراه الآن؟ هل تخدعه عيناه؟ إن القمر يزداد توهجًا وأضحى أقرب إلى الشمس، بل أشد منها ضياءً، لدرجة عجز فيها عن الرؤية.

وما أن خفت ضوء القمر حتى لاحظ بابًا قد لاح أمامه من العدم! أهي الهلوسة؟!

ودون سابق إنذار انفتح الباب بشّدة وانبعث منه ضوء شديد يماثل ذلك التوهج من القمر.

ومجددًا عجز عن الرؤية، لكنه ودون أن يعي وجد أن ذلك الضوء قد جذبه بقوة ليعبر به عبر ذلك الباب وينغلق خلفه، ومن ثم يتلاشى.

***